سلسلة إصدارات مسجد السلاب(٢)
www.msjedelsallab.com

صيحة نذير انتبهوا أيها المصريون

بقلم
الشيخ/ عاطف شاهين
إمام وخطيب مسجد السلاب
في المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتماع كلمة المسلمين، ولم شملهم، وتوحيد صفهم، أحد مقاصد الإسلام العظام التي أبان الله تعالى عنها في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ .

قال الله تعالى: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣)** ﴾ [آل عمران: ١٠٣] ، وقال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢)** ﴾ [المؤمنون: ٥٢] ، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ (٩٢)** ﴾ [الأنبياء: ٩٢] ، وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)** ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢] وقال تعالى: ﴿ **وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ** ﴾ [الأنفال: ٤٦] .

وقال النبي ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبينان يشد بعضه بعضًا**» وشبك رسول الله ﷺ بين أصابعه، وقال أيضًا عليه السلام: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له سائر الجسد بالسهر والحمى**»، وقال أيضًا عليه السلام: «**ثلاث لا يُغَل عليهن قلب امرئ مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة أمر المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من وراءهم**» وقال أيضًا عليه السلام: «**أيها الناس إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، الناس لأدم وآدم من تراب**».

وجاءت شرائع الإسلام تؤصل لهذا المعنى العظيم:

الله، الله حين يلفظ العربي الفصيح والأعجمي بلكنته: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

الله، الله حين يصطف المصلون خلف إمام واحد، بركوع واحد، وسجود واحد، يصلون لرب واحد في منظر عجيب بديع يشع نورًا وبهاءًا، قال عنه واحد من أعداء الملة حينما رأى جيش الإسلام في زمن العزة أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد اصطف خلف إمامه في منظر لم تكتحل عين الأعداء به في ديارهم، فقال هذا الرجل: لقد أكل كبدي عمر، لقد علم هؤلاء البدادة ومكارم الأخلاق.

والحق أن الذي علمهم وعلم عمر هو رسول الإنسانية ﷺ .

الله، الـله حين يمسك أكـثر من مليـار ونصف عـن الطعام والـشراب في وقت واحـد بهيـئة مخصوصة في زمن مخصوص.

الله، الله حين يقتطع الغني جزءًا من ماله ليرفد به إخوانه الفقراء في أصقاع الأرض .

الله، الله حين تـبعث كل أمة بوفدها إلـى بيت الله الحرام بلباس واحـد، لأداء نسك واحد، يلبون لرب واحد، قبلتهم واحدة، كتابه واحد، نبيهم واحد.

حينما ينظر المسلم هذا بعين البصر والبصيرة يتضح له هذا المعنى العظيم.

* * *

ومن أجل بقاء هذا الأصل قائـمًا في أمة الإسلام ـ لا سيما وأن العرب لم يجـتمع أمرهم قبل الإسلام ـ حذر النبي ﷺ أمتـه من غواية الشيطان، وإفساد ذات البين، فقال عـليه الصلاة والسلام وهو يوصي أمته بمجامع دعوته في حجة الوداع: «**إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب، ولكن رضي في التحريش بينهم**». وقال عليه السلام في حجة الوداع كذلك محذرًا أمته من داء الفرقـة والاختلاف: «**لا ترجعـوا بعدي كفاراً يـضرب بعضكم رقـاب بعض**» أي: لا تعملـوا أعمال الكفار وتشابههم في الفرقة والاختلاف والتناحر والتنازع، لا سيما إن كان هذا بسبب ومن أجل الدنيا.

* * *

وفي سبـيل تحيق هذه الوحـدة، واجتماع الكلـمة، وإذابة الفوارق: آخى رسـول الله ﷺ بين المهاجـرين والأنصار في صـدر الإسلام، وقام المهـاجرون والأنصار بـحقوق هذه المؤخـاة على أتم الوجوه فاستحقوا بذلك أعظم الثـناء من الملك العلام؛ فقال سبحانه: ﴿ **لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ (٨) وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر: ٨، ٩] .

* * *

ومضت الأيـام والليالي تـهدهدها روح المحبـة والإخاء، وكان بـين الحين والآخر تطفـوا على

السطح بعض رواسب الجاهلية البغضاء، فكان المسلمون يتغلبون عليها بـ: وفرة الإيمان في القلوب، وبعمق الأخوة المستقرة في الصدور، وبحسن الفهم لمكائد الأعداء لشرخ جدار الأخوة من أجل أضعاف أمرهم، وقبل هذا وبعد هذا وجود شخص معلم الإنسانية الخير ﷺ .

* * *

ومن المعلوم تاريخيًا أن سكان المدينة الأصليين ينحدرون من أصلين كبيرين هم: الأوس، والخزرج وكانت بينهما في الجاهلية حروب وعداواة وضغائن وأحقاد وثارات طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الإسلام، ودخلوا فيه، صاروا إخوانًا متحابين بجلال الله متواصلين في ذات الله متعاونين على البر والتقوى.

لكن هذا الوفاق والوئام لم يعجب أعداء هذه الأمة ـ لا سيما الأمة المغضوب عليها «اليهود» ـ فعندما مر شاس بن قيس ـ واحد من شيوخ اليهود ومن أشدهم بغضًا للإسلام والمسلمين ـ علي ملأ من الأوس والخزرج وقد تمت لهم نعمة الإسلام والأخوة، ساءه ما هم عليه من الاتفاق والألفة فقال : **والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار.**

فبعث بشاب من شباب اليهود كان معه، وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بعاث[1] وتلك الحروب، ففعل. فلم يزل هذا دأبه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض، وتثاروا ، ونادووا بشعارهم، وطلبوا أسلحتهم،وتواعدوا إلى الحرة ـ أرض المعركة ـ فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يسكنهم ويقول: **أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم؟**

وتلا عليهم هذه الآية الكريمة: ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ﴾ الآية.

فندموا على ما كان منهم، وتعانقوا وألقوا السلاح.

وقد امتن عليهم رسول الله ﷺ بهذه النعمة ـ نعمة الأخوة والوحدة ـ يوم قسم غنائم حنين، فعتب من عتب منهم لما فضل عليهم في القسمة بما أراه الله. فأمر النبي ﷺ سعد بن عبادة فجمع الأنصار وحدهم، فأتاهم رسول الله ﷺ ، فحمد الله وأثنى عليه بالذي هو له أهل ثم قال: «**يا معشر الأنصار: مقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها في نفوسكم. ألم آتيكم ضلالاً**

(١) يوم بعاث: يوم معروف من مشاهير أيام العرب، كان فيه حرب بين الأوس والخزرج في الجاهلية.

فهداكم الله، وعالة ـ فقراء ـ فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم» .

كلما قال النبي شيئًا، قالت الأنصار: الله ورسوله أمن.

❋ ❋ ❋

وهكذا كان المسلمون في الصدر الأول يتغلبون على هذه الفتنة العمياء بالأسباب التي ذكرت آنفًا.

ولكن مع تقادم الزمن، وضعف نور هذه الأسباب بين صفوف المسلمين، وبقاء شاس بن قيس اليهودي حيًا بروحه الخبثة ينفث سمومه بين صفوف المسلمين، استطاع أعداء الأمة أن ينالوا منها قدرًا ليس باليسير، فشقوا صفها، وأوهنوا قوتها ، وأضعفوا عزيمتها، وأوقعوا الفرقة والبغضاء بين أبناءها.

كل ذلك بخبث ودهاد، يتلطفون به حينًا، ويصرحون به أحيانًا، عندما تيقنوا ـ بحسب ظنهم ـ أننا صرنا في عداد الأموات، وبالتالي صارت ديارنا وأموالنا وما لنا غنيمة لهم.

وفي ظل الاضطرابات التي تعاني منها الدول العربية كان شاس بن قيس حاضرًا وبقوة في صفوف الغرب وأمريكا وإسرائيل ينفث سمومه الخبيثة من أجل مزيد من الفرقة والانقسام من أجل مزيد من الضعف والهوان لأمة الإسلام.

❋ تطور فكرة تقسيم المشرق العربي في مراكز الفكر ، ودوائر اتخاذ القرار في الغرب:

يمكن تقسيم ذلك من خلال ثلاث مراحل:

أ ـ تطور فكرة التقسيم، والتسويق لمشاريع الحكم الفيدرالي عبر دعم القوى المجتمعية في الفترة ما بين ٢٠٠١ ـ ٢٠٠٦م.

١ ـ أول من طرح فكرة تغيير البنية الجغرافية السياسية للشرق الأوسط في مطلع الألفية الثالثة النائب الأسبق لرئيس هيئة الأركان الأمريكي «رالف بيترز» حيث نشر في مجلة القوات المسلحة الأمريكية دراسة بعنوان: «حدود الدم» ذكر فيها أن الحرب على الإرهاب ستبقى ناقصة ما لم تتم معالجة قضايا الإرهاب الأصولي والتخريب والكراهة الصادرة من الدول المحافظة التي لعبت دورًا في تقويض الأنظمة العلمانية ونشر التطرف في العالم الإسلامي وإعادة حقوق الإنسان إلى الوراء.

٢ ـ في سنة ٢٠٠٢ م بـدأت الصحافـة ومراكز الـبحث المقربـة من وزارة الدفاع الأمـريكية تـقدم بأطروحات لإعادة رسم خـريطة المنطقة العربية كحل جـذري لمواجهة التشدد الديني وإمكانـية استخدام القوة العسكرية لتحقيق ذلك.

وعلى رأس هذه المراكز مـؤسسة «راند» (١) حيث دعا خـبيرها الاستراتيـجي «لوران موريس» الإدارة الأمريكية إلى تبني حلول عسكرية متشددة إذا فشلت جهود الإصلاح.

٣ ـ في نفس السنة شارك القيادي في أوساط المحافظين الجدد«وليام كريستول» في مؤتمر إيطاليا (يونيو ٢٠٠٢) وتحدث في مداخلة عن وجود أجندة أمريكيـة ستبدأ بالحرب على العراق ، وتنتهي بإسقاط الأنظمة الملكية في الخليج العربي.

٤ ـ وفي العام نفـسه ٢٠٠٢ تقدم مؤسس مـعهد «هدسون» للدراسـات الاستراتيجـية«ماكس سنجر» لوزارة الدفاع الأمريكية (أغسطس ٢٠٠٢) بدراسـة تتلخص في الدعوة إلى إسقاط الأنظمة الملكية ودعم المـعارضة في الخارج لإنشاء جـمهورية مستقلـة في شرق شبه الجزيرة العـربية. وذكر المتحدث باسم البنتـاغون «الفتنانت مايكل هوم» أن «ماكس سنجر» قـد اجتمع بـ«أندرو مارشال»، وهو أحد المقربين من وزير الدفاع الأمريكي الأسبق، ودار الحديـث بينهما حول إمكانية إنشاء كيان

(١) مؤسسة راند (Ranb corporation) : هي أكبر مركز فكري في العالم، وهو مركز فكري مقره الرئيس في ولاية كاليفورنيا الأمريكيـة، تقوم مؤسسة راند الذي اشتق اسمها من اختصار كلمتـي: الأبحاث والتطوير ، بجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات، ومن ثم تحليها وإعداد التقاير والأبحاث التي تركز علي قضايا الأمن القومي الأمريكي في الداخل والخارج. يعمل في المؤسسة ما يقارب من ١٦٠٠ باحث وموظف يحـمل غالبيتهم شهادات أكاديمية عالية. وميزانيتها السنوية تتراوح بين ١٠٠ ـ ١٥٠ مليوم دولار أمريكي.

تعتـبر مؤسسـة راند أحد المؤسسـات الفكرية المؤثرة بشـكل كبير عـلى المؤسسة الحـاكمة في أمريـكا، وهي تدعم توجهات التيار المتشدد في وزارة الدفاع، وتتولى الوزارة دعم كثيـر من مشروعاتها، وتمويلها ، كما ترتبط بعلاقات ، ومشروعـات بحثية مع وكالـة المخابرات المركزية، ومكتب التـحقيقات الفـيدرالي، وتصب كثيـر من الدراسات والبحوث الصادرة عن هذه المؤسسة في خانة أنصار مواجهة الإسلام والمسلمين.

ساهمت مـؤسسة راند في رسم خطة الحرب الأخـيرة على الإرهاب، وتقدمت بـدراسة لوزارة الدفاع تقترح فـيها ضرب المملكة العربية السعودية واعتبارها العدو الأول في العـالم. كما أن فرع المؤسسة في قطر تعمل فيه الباحثة: شيريل بيرنـاد، زوجة مهندس الحرب على أفغانسـتان: زلماي خليل زاده. وهي التي قامت بكتـابة مشروع الإسلام الديمقراطي، وهو ما عُرف لاحقًا باسم «تـقرير راند» ويعتبر فرع المؤسسة في المنطقة العربية مركـزًا مهمًا للمساهمة في إعادة تشكيل المنطقة وفق الرؤية التي تطرحها الإدارة الأمريكية.

جديد على أسس طائفية في الخليج العربي[١] .

٥ ـ في هذه الفترة ما بين ٢٠٠٢ ـ ٢٠٠٣ ـ التي ظهرت فيها التقاير الداعية إلى إعادة رسم الخريطة العربية، كانت الإدارة الأمريكية مشغولة بالتخطيط لغزو العراق، وتأسيس نظام سياسي يقوم على المحاصصة الطائفية.

٦ ـ منذ ذلك الحين بدأت تتضح ملامح الاستراتيجية الأمريكية الجديدة تجاه الشرق الأوسط، والتي ارتكزت على دعامتي: دعم الديمقراطية، وتمكين الأقليات، بداية من العراق، وانتهاء بدول الخليج.

وفي شهر مارس ٢٠٠٣ نشر الرئيس الفخري لمجلس العلاقات الخارجية الأمريكية «ليسلي غليب» مقالاً بعنوان: «العراق حل الدول الثلاث» دعا فيه إلى تقسيم العراق إلى ثلاث دول على أساس عرقي وطائفي: سنة، وشيعة، وأكراد.

٧ ـ في سنة ٢٠٠٦ نشر معهد «غلوبال ريسيرتش» الكندي مقالاً للكاتب «غاري هلبرت» تحدث فيه عن وجود مخطط أمريكي لتقسيم منطقة الشرق الأوسط على أسس إثنية وطائفية ، وأكد الكاتب أن نائب الرئيس الأسبق «ديك تشيني» ، ونائب وزير الدفاع الأسبق «بول ولفويتز» كانا من أبرز المؤيدين لفكرة التقسيم.

وفي العام نفسه نشر المعهد تقريراً عن إمكانية أن تشهد المرحلة المقبلة بذل جهود استخباراتية لتشجيع الأقليات في المنطقة العربية للمطالبة بكيانات سياسية مستقلة.

ب ـ الدعوة إلى دعم مطالب المعارضة الراديكالية بالانفصال السياسي والحكم الذاتي (٢٠٠٧ ـ ٢٠١٠):

---

(١) من خلال هذا وغيره نستطيع أن نفهم أن انفتاح حكومة الإخوان في عهد محمد مرسي على دولة إيران كان بمخطط أمريكي ولا نستطيع أن نقول أن ذلك تم وحكومة الإخوان في غفلة من أمرها لأن جذور العلاقة بين الإخوان والشيعة قديمة من حيث بعض المعتقدات وكثير من المواقف السياسية المشتركة وإن كان ذلك على حساب معتقدات أهل السنة والدول العربية، ولكن الإخوان لا يقيمون لهذين الأمرين بالا في سبيل تحقيق مصالحهم الحزبية والشخصية، والوصول إلى الحكم إيا كان الثمن.

١ ـ بحلول عام ٢٠٠٧ بدأت تـظهر ملامح تفاعل القوي المجـتمعية الأكثر تـشددًا في المشرق العربـي مع دعوات التقـسيم الغربـية، وبدا ذلك واضحـًا في تعالي أصـوات الجماعات المتـطرفة للمطالبة بالانفصال السياسي. حيث نشرت مجلة «ميدل إيست بوليسي» في عددها الصادر في ٢٢ يونيو ٢٠٠٧ تقريرًا يؤكد أن الأنظمة العربية باتت تشعـر بالقلق من تنامي نشاط التنظيمات المتطرفة المرتبطة بإيران ، مما دفـع بعدد من القادة والزعماء العـرب لتحذير الدول الغربيـة من مخاطر دعم هذه الجـماعات التـي تهدد حـالة السلم الاجـتماعـي، وتتسبـب في شرخ خطـير في العـلاقات الإقليمية.

٢ ـ في مطلع عام ٢٠٠٨ صعـدت إيران موقفها ضد المملكة العربيـة السعودية، والإمارات، وكررت ادعاءاتها بتبعية البحرين لإيران، في الوقـت ذاته طالبة بعض الجماعات الشيعية في الدول العربية بتقسيم المنطقة على أسس مذهبية.

٣ ـ وفي العام نفسه رعت وزارة الخارجية الأمريكية برنامج «قادة الديمقراطية» وشارك فيه عدد من قادة الجماعات المتطرفة التي لا تؤمن بالديمقراطية من حيث المبدأ.

٤ ـ ما بين عامي ٢٠٠٨ ـ ٢٠١٠ جرت لقاءات مكثفة بين مسئولين غربيين وزعماء جماعات راديكالية تناولت سبل دعم هذه المعارضة وإعادة رسم خريطة جديدة للمنطقة.

٥ ـ في عام ٢٠٠٩ حاولـت بعض الجماعات في دول الخـليج العربي تأزيم الموقف الـسياسي والمطالبة بتشكيل كيانات سياسية مستقلة.

ونظمت هذه الجماعات حملات احتجاجـية اتسمت بالعنف، وتوجت بدعوة أحد رجال الدين إلى الدعوة بالانفصال السياسي ، وحض أتباعه على حمل السلاح قائلاً: «كرامتنا أغلى من وحدة هذه البلاد. ولن تنالوا عدلاً؟! إلا بالجهاد».

٦ ـ في عام ٢٠١١ نشرت مجلة «فورين بوليسي» الأمـريكية دراسة للباحث «أ. بينات» أشار فيها إلى إمكانية أن تتعاون الإدارة الأمريكية مع إيران لدعم جماعات المعارضة في الدول العربية [(١)] .

(١) من المعلوم سلفًا أن التعاون بين إيران وأمريكا كبير جدًا، وأن طبيـعة العلاقة بينهما تسير في خطين متوازيين: ففي المطبخ وخلف الستائر يسعيان إلى مصالح مشتـركة أساسها السيطرة على الوطن العربي وضرب دول أهل السنة في مقتل. وأمام الكاميرات وشاشات التليفزيون والرأى العالمي هما ضدان.

٧ ـ مع بداية الثوارت الـعربية تقدم كثيـر من الباحثين الغربيين بـأطروحات أكثر جرأة فيمـا يتعلق بإعادة رسم الخريطة الجغرافية والسياسية للمنطقة العربية.

ج ـ مرحة الثورات الشعبية وظهورمفهوم «التجزئة داخل الحدود» ٢٠١١ ـ ٢٠١٣ .

في أتون حالـة الفوضى التي انتـابت البلاد العربـية أثناء الثورات المـسماة بـ«الربيـع العربي!!» تنامت ظاهرة الولع الغربي بخريطة جديدة للوطـن العربي، وبالفعل بدأت تظهر رسومات وخرائط جديدة مستحدثة لإعادة تقسيم المنطقة وفق مصالح القوى الدولية المتنافسة.

وكأن التاريخ يعيد نفسه، ففي أعقاب الحرب العالمية الأولى تقاسمت دول الغرب الدول العربية وتم وضع حدود جغـرافية وفق مصالح هـذه الدول. دون اعتبار لسكان الأرض وأصـحاب الوطن وكأننا تركة.

١ ـ رأي «روجر أوين» الـباحث في جامـعة «هارفرد» أن الحـرب العالمية الأولى أنـتجت دولاً مصطنـعة لا يزال تحقيـق الاستقرار فـيها متـعذرًا دون حكم عسكـري استبدادي الأمـر الذي يدفع بالمجتمع الدولي للبحث عن ترتيبات جديدة تهدف إلى تحقيق الاستقرار بصورة أكثر واقعية، وذلك من خلال إعـادة تقسيم المنـطقة وفق حدود جـديدة تحظى باعتـراف عالمي كما وقـع في السودان، وجنوب السودان ، أو من خلال تطـبيق مفهوم «التجزئة داخل الحدود» كـما هو الحال في العراق. ورأى «أرنولد آلرت» أن السيناريو الأخير هو الأفضل لسوريا بحـيث يشكل فيها نظام سياسي تتوزع فيه السلطـة بين السنة والأكراد والعلويين. مشـددًا على ضرورة وضع المصالح الأمريكيـة على قمة الحسابات في المرحلة القادمة.

٢ ـ الجدير بالذكر ـ والغريب في الوقت ذاته بالنسبـة لنا معاشر العرب وأهل السنة ـ أن المراكز

والإنسان الفطـن يستطيع أن يدرك هذا ببـساطة من خلال طريقـة الشد والجذب، والإحجـام والإقدام، والمناورات الكلامية، والغزل السياسي بين البلدين. كل ذلك حسب ما تقتضيه المواقف وتفرضه اللحظة. ونهاية المواقف كلام. أما على أرض الواقع فكل يمشي حسب الخطة المرسومة. والمثل الشـعبي المصري يقول: «القط يحب خناقه». بل الأمر أكبر من ذلك، فـقد صرحت إيران على لسـان نائب الرئيس الإيراني للشئـون القانونية والبرلمانـية أنه لولا إيران لما سقطت كابول وبغداد . وأن إيران قـدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربهم ضد أفـغانستان والعراق، وخط الطيران الممـتد جوًا عبر طهـران وتل أبيب، والقبلات الحـارة على وجوه علماء الشـيعة وحاخامات إسـرائيل ليل نهار... إلخ. كل ذلك وما خفي كـان أعظم ـ يستطيع المسلم الفطن أن يكتشف من خـلاله طبيعة المواقف، وفي أي طريق تسير!!! فمتي يفهم العرب وأهل السنة في بلاد المسلمين ويعرفون العدو من الصديق؟!

الإعلامية والبحثيـة في إسرائيل بادرت من جهتها إلى تبني مفهوم إعـادة رسم خريطة الدول العربية وفق مفهوم: «التـجزئة داخل الحدود » باعتبارها الحلـقة الأخيرة في عملية السلام مـع الفلسطينيين والعرب من جهة وإسرائيل من الجهة الأخرى.

فقد نـشر «ألوف بن» رئيس تحـرير صحيفـة «هآرتز» مقالاً أكد فـيه ضرورة أن تسـفر تطورات المنطقة عن صيـاغة خريطة سياسية جديدة تحـترم حقوق الشعوب في تقرير مصـيرها!!! وذلك عبر تأسيس كيانـات سياسية جديدة، وهو الأمر الذي سـيكسر عزلة إسرائيل ويتيح لـها مجال المناورة، ويعزز فرص تواصلها مع شعوب المنطقة(١) واختتـم مقالتة بالقول: «ولا نستطيع تجاهل أن إسرائيل هي لاعب أساسي في السـعي نحو إقامة الدولة الفلسطـينية المستقلة وترسيم حـدودها. وفي سياق متصـل لن تكون إسرائيل بمنـأى عن تأثيرات تفكك الدول المجـاورة لها، لا سيمـا الأردن وسورية والمملكة العـربية السعودية، حيث يمـكن لإسرائيل أن تتبنى سيـاسة ذكية تمكنها مـن تحديد الفرص الكامنة لانبـثاق دول جديدة ، وتساعـدها على استغلال هذه الـفرص، وتجعلها قادرة عـلى احتواء عملية التحول الحتمي بهدف تعزيز قوتها ونفوذها في المنطقة».

❊ ❊ ❊

فهل فهمتم أيها العرب ـ لا أقول مـا بين السطور ـ بل ما على السطور، وأن الأحداث التي تمر بها بلادنا تصب في مصلحة من؟!

وكم كانت روح شاس بن قيس الخبيثة حاضرة وبقوة في صفوف أذنابها وأحفادها من أتباع الملة الغضبية ـ اليهود ـ وإلى أى حد بلغت الجرأة والوقاحـة، والانتقال من التلويح إلى التصريح بتقسيم أمة الإسلام إلى دويلات حسبما تقتضيه مصلحة الغرب وأمريكا وإسرائيل.

ولكن الملفت للنظر أن أتبـاع أُسْدِ الغَابَةِ من أبناء الأمة المرحومة قد بلـغوا حدًا من السذاجة لا يكاد يعقل، بحيث أنهم يسيرون على الخط الرسوم لهم سلفًا من قبل أعداءهم حذو القذة بالقذة ، شبرًا بشبر، ذراعًا بذراع، حتي لو رسموا لهم جحر ضب ليدخلوه لدخلوه.

❊ ❊ ❊

(١) ليتنا إذن نفهم قول الشاعر العربي القديم لأبناءه:

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسرًا وإذا انفردن تكسرت آحادًا

وفي الوقت الذي تحاول فيه دول الغرب أن تحقق من نفسها وحدة واحدة سياسيًا واقتصاديًا وعكسريًا على رُغم ما بينها من اختلاف في العقائد والأفكار والتصورات والعادات والتقاليد والأجناس والأعراف، ولكنهم أدركوا رُغم كل هذا أن هناك ، بل هنالك مصالح مشتركة تستطيع أن تتغلب نداءاتها على كل ما سبق، فحاولوا تحقيق وحدة واحدة من أجل الصمود أمام أمريكا وجبورتها، فلم يستطيعوا أن يتخلوا عن زعاماتهم وعروشهم . . . ففكروا ثانية في حل يحقق لهم مآربهم مع الاحتفاظ بزعامتهم وعروشهم، وبالفعل نجحوا في ذلك نجاحًا كبيرًا. فها هي دول أوربا تصنع من حدودها لحمة واحدة تحت شعار «الاتحاد الأوربي» ورُغم كل الصعوبات التي وما زالت تواجه هذا الاتحاد إلا أننا نسمع كل يوم عن دولة جديدة تنضم إليه ، ومن تحاول الخروج يستعصي عليها ذلك.

❊ ❊ ❊

وفي الوقت ذاته نجد دول الوطن العربي بصفة خاصة، ودول العالم الإسلامي بصفة عامة لا اختلاف بينها في كثير مما هو قائم بين دول الغرب، ومع هذا لم يستطيعوا أن يحذوا حذو دول أوربا، فلا كومنلوث إسلامي، ولا اتحاد عربي حقيقي، وليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل تسعي سعيًا حثيثًا إلى مزيد من الانقسام من أجل مزيد من الضعف.

حب السلطة والزعامة وتبوء المناصب والكراسي أنسى كثيرًا ممن يتشدقون بحب البلاد والأوطان السير في طريق المصلحة الحقيقة لبلادهم. وكان المثل الشعبي المصري هو القانون الذي يسيرون عليه «يا فيها يا أخفيها».

ومواقف الكل ذكرتني بذلكم الطفل المسكين الذي تناولته يد أم حقيقية وأخري مزيفة فلما احتكما إلى سليمان النبي عليه السلام واستعصى عليه الفصل في القضية لجأ إلى حيلة ليعرف من خلالها الأم الحقيقية ، فنادى على السياف وأمره أن يشق الطفل نصفين، فتتمتع كل أم بنصفها. حينئذ صاحت الأم الحقيقية على الفور: لا. لا. ليس ابني، هو لها . فعرف سليمان ساعتئذ من أم الطفل.

الأم الحقيقية فضلت أن تحرم من ضم ابنها إلى صدرها في مقابل أن تنعم برؤيته حيًا يلهو ويمرح. وليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة، وليس الكحل في العينين كالتكحل.

❊ ❊ ❊

في خضم هذه النزاعات تسقط كل الأقنعة وتحاول أن ترى بأم عينيك : أين الأم الحقيقية !! أين من يحب بلده من سويداء قلبه، وأين الدَّعي في الحب؟!

أليس في مصر والأمة العربية قوم رشد يقفون مع أنفسهم لحظة صدق ويسألون :

إلى أي طريق نسير؟!

ولمصلحة من نعمل؟!

ومن المستفيد الحقيقي من هذا الصراع الدائر في بلادنا؟!

وما الذي نورثه لأبناءنا وأحفادنا ؟! هل هو الحب والوئام وتغليب المصلحة العليا، أم الكره والبغض وتغليب الأنا والذات على كل الاعتبارات!!

أسئلة كثيرة أراها تقابل وجهي وأنا أنظر في المرآة كل صباح ، وللأسف لا أجد لها جوابًا شافيًا ، وأقف حائرًا أنظر إلى بني وطني بعين الحسرة والندامة وأنتظر الغد بخوف شديد، تساورني فيه مشاعر الحزن والأسى على سوء الفهم وخبث المقصد وتجذر الأنا في أعماق النفوس.

وفي الوقت ذاته أعلم أن كل ما نحن فيه يقود لا محالة إلى مصير لا أقول مجهول، بل معلوم ألا وهو: الفشل، ومن ثَّم ذهاب الريح ، لنكون أثرًا بعد عين. وهذا المصير أبان عنه الحق جل جلاله في الأزل، وأنزله على قلب نبيه ﷺ قبل خمسة عشر عامًا من الزمان في قرآن يتلى على مسامع الدنيا، ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾ [الأنفال: ٤٦].

ولكن لماذا ختم الله الآية بالصبر؟ لعله ـ والله أعلم بمراده ـ في سبيل تحقيق الوحدة يتنازل المرء عن بعض ما يري أنه من حقه من أجل أن يحافظ على اللحمة والمصلحة العامة، وليس بمقدور كل واحد أن يفعل هذا إلا من رسخ الإيمان في قلبه، بل وتحلى بنصفه في أخلاقه وجوارحه مصداقًا لقول النبي ﷺ: «**الصبر نصف الإيمان**»(١) .

* * *

(١) من بدائع الإمام ابن عاشور قوله في تفسير الآية الكريمة: «وأما النهي عن التنازع فهو يقتضي الأمر بتحصيل أسباب ذلك بالتفاهم، والتشاور، ومراجعة بعضهم بعضًا، حتى يصدورا عن رأى واحد» ا هـ. من «التحرير والتنوير» (١٠ / ٣٠).

أنا لست متـفائلاً إلى حد النظر إلى الـوعود الشرعية بنـصرة هذه الأمة على أعدائهـا من غير التفات إلى الأسباب والأخذ بها.

ولست مـتشائمًـا إلى حد اليأس مـن الغد بالنظـر إلى الواقع المرير الذي تـعيشه أمـة الإسلام والضعف والهوان الذي مُنِيَتْ به.

ولكني مسلم أتلمس هـداية السماء، وأبحث عن أسباب النصر والتمكـين وفق السنن الشرعية والكونيـة، واعلم أنه لا زال في الأمة أولوا بـقية من خيـر يرجى من وراءهم الخيـر، وبإمكان كل واحد منا أن يكون منهم بشرط عقد القلب، وقوة العزيمـة، والسعي الحثيث فيما هو نابع له ولأمته من غير التلفت يمينًا وشمالاً كي لا يصاب باليأس والإحباط .

عمـدتي في ذلك قول أصدق الـعالمين ﷺ: «**إذا قامـت القيامـة وفي يد أحدكـم فسيلـة، فإن استطاع أن يغرسها فليفعل**».

أصحاب الرسـول الكريم عندما سمعـوا هذا الحديث لم يسألوا رسول الـله ﷺ: لمن، ومتى، وكيف، وأنى، ولماذا. . . . وهلم جـرا. لأنهم فهموا ما وراء الخطاب: كـن أداة بناء لا معول هدم حتى أخر ساعة من عمرك أو من عمر الدنيا.

* * *

الحل ، والسبيل إلى الحفاظ
على اللحمة الوطنية والنسيج الاجتماعي

١ ـ تعميق مفهوم الدولة والأمة، وتحقيق الانتماء الحقيقي لهما.

٢ ـ العمل على إيجاد مصالحة حقيقية لكل فئات المجتمع.

٣ ـ إيجاد علاقة متوازنة بين السلطة والمجتمع.

٤ ـ العدالة في توزيع الثروة من خلال قانون عام وموحد يمشي على رقبة الجميع من غير تفرقة أو انحياز لفئة على فئة.

٥ ـ التجمع خلف هدف واحد مشترك يضم كل القوى المهدرة ، لا سيما فئة الشباب من أجل النهوض بالوضع الاقتصادي المتدهور.

٦ ـ الاهتمام بالعلم كمقوم رئيس لبناء الأمة ، فضلاً عن الدولة، والاعتبار في هذا بالدول التي بدأت بعدنا بكثير، وهي الآن في مصاف الدول المتقدمة مثل: اليابان، ألمانيا، كوريا الجنوبية.

٧ ـ عدم المساس أو العبث بهُوية البلاد وثوابت دينه، مصر دولة إسلامية سوداها الأعظم من المسلمين، ومحاولة العبث أو المساس بدينها سيجعل البلاد بلاقع وستدخل البلد في آتون فتنة لا يعلم مداها إلا الله.

ولن تستطيع الدولة ، ولا القوى المجتمعية ساعتئذ أن تئد هذه الفتنة.

* * *

فمتى نفقه قضيتنا، ونغلب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وننظر في عواقب الأمور، فإن معرفة الخير من الشر لا يكذب إلا بالنظر في العواقب والنتائج. هكذا قال الشرع والعقل.

* * *

يا رب أسألك بعزك الذي لا يرام، وبملكك الذي لا يضام، وبنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن تجمع أمر مصر وبلاد المسلمين على كلمة سواء ، وأن تنزع من القلوب والصدور نار البغضاء والحقد والكراهية. اللهم احفظ مصر من كيد الكائدين، وحقد الحاقدين، ومكر الماكرين . اللهم اجعل مصر وأهلها في رباط إلى يوم القيامة، وابق لهم

على الرحم والذمة .

اللهم احفظ على مصر أمنها وأمانها، ووحدة جيشها واجعله غصة في حلوق أعداءها[(١)] . يا رب ما قضيت لنا من قضاء فاجعل عاقبته رشدًا. اللهم أرنا الحق حقًا، وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه. اللهم أنر بصائرنا بنور الحق، وأيدنا بالحق، وأيد الحق بنا، واجعلنا هداة مهتدين ، غير خزايا ولامضلين. يا رب في تدبيرك ما يغني عن الحيل، وفي عفوك ما يمحو الزلل. اللهم لا نضام وأنت حسبنا، ولا نفتقر وأنت ربنا، وبدونك لا حول ولا قوة لنا. فاللهم اغفر لنا، وارحمنا، وتب علينا ، وتولنا، أنت مولنا، فنعم المولى ونعم النصير.

وكتب

عاطف شاهين

الإمام والخطيب بوزارة الأوقاف

مسجد السلاب

المنصورة

في ليلة الجمعة

١٦ / ٢ / ١٤٣٥ هـ

١٩ / ١٢ / ٢٠١٣ م

وأنا في سرير المرض أتلمس

أنفاس الأمل والرجاء، وأدعو لبني وطني

بصفاء القلب ، ونقاء السريرة

(١) ربما لا تعجب هذه الدعوة بعض الناس ، لكن بعد حين ستعرفون معناها وقيمتها «ولتعلمن نبأه بعد حين».

قال حافظ إبراهيم ـ رحمه الله ـ يائسًا من حال أمته:

١ ـ لم يبقَ شيءٌ من الدنيا بأيدينا إلا بقيةَ دمعٍ في مآقينا

٢ ـ كنا قلادةَ جيدِ الدهر فانفرطت وفي يمين العلا كنا رياحينا

٣ ـ كنت منازلُنا في العز شامخةً لا تُشرِقُ الشمسُ إلا في مغانينا

٤ ـ وكان أقصى مني نهرٍ «المجرة» لو من مائِه مُزِجَتْ أقداحُ ساقينا

٥ ـ والشُهْبُ لو أنها كانت مسخرةً لَرُجِمَ من كان يبدو من أعادينا

٦ ـ فلم نزل وصروفُ الدهر ترْمقنا شزراً وتخدعُنا الدنيا وتلهينا

٧ ـ حتى غدونا ولا جاهٌ ولا نسبٌ ولا صديقٌ ولا خلٌ يواسينا

قال معروف الرصافي ـ رحمه الله ـ مستنهضًا همم أبناء أمته:

١ ـ أرى مستقبلَ الأيامِ أولى بمطمعِ مَنْ يُحاول أنْ يسودا

٢ ـ فما بلغ المقاصدَ غيرُ ساعٍ يُرددُ في غدٍ نظرًا سديدًا

٣ ـ وهل إن كان حاضِرُنا شقيًا تَسُود يكون ماضينا سعيدا

٤ ـ فَشَرُّ العالمين ذُو خمولٍ إذا فاخرتهمِ ذكروا الجدودا

٥ ـ وخير الناسِ ذُو حسبٍ قديمٍ أقام لِنفسه حسبًا جديدا

٦ ـ تراه إذا ادِعَى في الناس فخرًا تقيمُ له مكارمه الشهودوا

٧ ـ فَدَعِني والفخارَ بمجد قومٍ مضى الزمان القديم بهم حميدا

٨ ـ قد ابتسمت وجوه الدهر بيضًا لهم ورأيْنَا فَعَبسن سُودَا

قال أحمد محرم في قصيدة كتبها في أول سنة ١٩٤٢ احتفاءًا بإنشاء الجامعة العربية، وهو يصور هذا الأمل البسام:

١ـ أُمَمَ العروبة جاء يومك فاعملي وإلى مكانك فانهضي وتقدمي

٢ ـ لك في فم الأحداث دعوةُ صارخٍ ينفي القرار عن الشعوب النوَّم

٣ ـ فدعي المضاجع وانفضي عنك الكرى وخذي السبيل إلى المقام الأعظم
٤ ـ ضمي القوى وتجمعي في وحـــدة عربية تحمي اللـــواء وتحتمـــي
٥ ـ هذا زمان ليس يفهـــم أهلـــهُ إلا حديث النار أو لغة الـــدمِ
٦ ـ كثرت لغات العالمين، وهـــــذه أوفى بيانًا في اللسان وفي الفـــم
٧ ـ والعدل أكثر ما يكون حديثُه أنشُودةَ الجاني ودعوى المجـــــرم
٨ ـ أُممَ العروبة جَدَّ جَدُّك فانظمي من عقدك المنثور ما لم ينظـــــم
٩ ـ لك أن تسودي تحت رايتك التي خفقت لها الدنيا فسودي واسلمي

إلى من سولت لهم أنفسهم أن يفرطوا في حبة رمل من أرضهم ووطنهم هذه الكلمات الغالية من آخر يوم من أيام العزة الإسلامية، وآخر خليفة من خلفاء المسلمين، السلطان عبد الحميد الثاني رحمه الله:

« انصحوا الدكتور «هرتسل» بألا يتخذ خطوات جدية في هذا الموضوع، فإني لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من أرض فلسطين. . . فهي ليست ملك يميني . . . بل ملك الأمة الإسلامية. . . لقد جاهد شعبي في سبيل هذه الأرض وَرَوَاُهَا بدمه. . . فليحتفظ اليهود بملايينهم. . . وإذا مُزقتْ دولة الخلافة يومًا فإنهم يستطيعون آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن.

أمَا وَأنَا حيّ فإن عمل المبضع في بدني لأهْوَن عَلَيّ مِنْ أَنْ أرى فلسطين قد بترت مِنْ دولة الخلافة، وهذا أمر لا يكون. إني لا أستطيع الموافقة على تشريح أجْسادنا ونحن على قيد الحياة».

* * *